

# الإرهاب ينتصر فكراً!

حرب غير تقليدية ولا هي مألوفة أشعلتها هجمات 11 سبتمبر التي تحل بعد غد ذكراها السادسة. لم يبدأ الإرهاب مع هذه الهجمات، ولا الحرب عليه. لكن الذي بدأ معها هو تحول الإرهاب والمعركة ضده إلى حرب عالمية يهددها البعض ثالثة بعد حربي 1914 - 18، 1939 - 45، فيما يعتبرها بعض آخر رابعة لأن الحرب العالمية الثانية التي غطت معظم سنوات النصف الثاني من القرن الماضي هي عندهم الحرب الثالثة.

## ■ وحيد عبدالمجيد

● وأياً يكن الأمر، فالقدر المتيقن إلى حد كبير هو أننا نعيش الآن أجواء حرب عالمية غير مألوفة قياساً إلى سابقتها، مثلما كانت الحرب الباردة كذلك بالنسبة إلى حربيين سابقتين أحرقتا بلاذاً كثيرة وعباداً بغير عدد. الحرب الراهنة غير تقليدية لأنها العالمية الأولى التي لا يكون أحد طرفيها دولة أو دولة، وإنما مزيج من الأشياخ والبشر بمقدار ما تمثل "القاعدة" خليطاً من الموجهة والحركة، أو من الأفكار البسيطة السهلة الانتشار والتنظيمات الصغيرة الصعبة المراس.

وبالرغم من أن إدارة الرئيس الأميركي جورج بوش أعلنت على الإرهاب، أو القاعدة، حرباً مسلحة في المقام الأول، فإن هذه الحرب تنطوي على دور رئيسي للأفكار. لذلك كان أهم ما ميز الحرب الراهنة في سنواتها الست أنها حرب أفكار. وكان أهم ما اتسمت به حرب الأفكار هذه هو الإطلاق، إنها، إذاً، حرب أفكار مطلقة... حرب الإيمان ضد الكفر لدى أحد طرفيها، وحرب الخير ضد الشر عند الطرف الآخر، وهي، على هذا النحو، حرب بين "فسطاطين" على حد تعبير زعيم أحدهما أسامة بن لادن، وهي، على النحو نفسه ولكن في صيغة أخرى، حرب لا مجال فيها لطرف ثالث، فإما معنا أو ضدنا حصرياً حسب مفهوم جورج بوش زعيم "الفسطاط" الآخر. لذلك لم يحل التناقض التام في أفكار ومرجعيات الطرفين دون وجود تقارب شديد في الأسس المعرفية لكليهما، حيث لا نجد اختلافاً جوهرياً بينهما في طريقة التفكير في الذات والنظرة إلى الآخر وتقدير الأمور من حيث أنها طريقة كلية مطلقة ترتبط بنزعة أخادية أو وحيدة تنطلق من أن ثمة ميذاً غائياً واحداً في الوجود، وأنه لا يمكن إدراك الحقيقة إلا من خلال هذا المبدأ، وربما يكون هذا هو أحد العوامل التي أكسبت الحرب العالمية الراهنة طابعها الفكري المختلف مقارنة بالحروب الثلاث السابقة ساخنها وباردها في آن معاً، فالحروب الأربع هي في أحد أبعادها، حروب أفكار بأشكال ودرجات مختلفة. لكن الحرب الدائرة في السنوات الست الأخيرة هي حرب أفكار مطلقة بشكل ما، أي بين مطلقين، وليست حرب أفكار بين نسبي ومطلق على ما كان في ما مضى، وخصوصاً في الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة، حيث كانت الفاشية والنازية ثم الشيوعية - على التوالي - هي مرجعية أحد الطرفين. ويعود هذا التباين، في أحد أبعاده، إلى الفرق الملموس بين كل من الفكر الليبرالي والفكر المحافظ التقليدي اللذين كانا هما مرجعية الحلفاء الديموقراطيين في الحروب السابقة، وفكر "المحافظين الجدد" الذي كان هو المرجعية التي انطلقت منها واستندت عليها الحرب على الإرهاب.

وبالرغم من أن أفكار "المحافظين الجدد" الأميركيين أقل شمولية من أفكار "القاعدة"، فقد أسيخ تقارب الأسس المعرفية وخصوصاً من حيث طريقة النظر إلى الأنا والآخر طابعاً مطلقاً على هذه الحرب. وكانت هذه هي نقطة الضعف البنائية الأولى في الحرب على الإرهاب، إذ حال جموح "المحافظين الجدد" الأميركيين فكراً وسلوكاً دون تطوير إستراتيجية فاعلة في مواجهة "القاعدة" التي أثبتت قدرتها على الصمود



والتكيف مع عالم يشارك معظمه في محاصرتها رضاه أو نزولاً على قرارات دولية. لقد نجحت القاعدة، وقد تحولت إلى موجة تنتشر في الفضاء الإلكتروني بأكثر مما تتجسد على الأرض، في أن تحدث تغييراً ملموساً في طبيعة وأنماط العلاقات الدولية. وهناك من يعتقد أنها هي التي أفضلت المشروع الأميركي لبناء "الشرق الأوسط الكبير" عندما قام تنظيمها في "بلاد الرافدين" بدور معتبر في إحباط هذا المشروع في مهده العراقي. لكن ثمة من يرى أن "المحافظين الجدد" الأميركيين هم الذين أفضلوا مشروعهم وهزموا أنفسهم بسبب تراكم أخطائهم وازدياد غطرستهم وترفعهم عن مقتضيات المعرفة الواجبة بطبيعة المنطقة التي أرادوها رافعة لمشروعهم الإمبراطوري، وأن "القاعدة" حصدت نتائج كل ذلك دون أن تززع أو تغرس.

وهذا خلاص طبيعي ومفهوم في حرب جديدة في نوعها ولا تتوفر أدوات متقن عليها لقياس نتائجها ولا معايير حاسمة للنصر والهزيمة فيها على المستويين العسكري والسياسي. غير أن الأمر قد لا يكون كذلك على صعيد الأفكار التي تشكل مكوناً رئيسياً له أهميته الخاصة في هذه الحرب أكثر من أي حرب سابقة فقد أعطى كل من طرفيها أولوية واضحة للفوز بتأييد الشعوب في العالم العربي والإسلامي بصفة خاصة، أو ما يسميه الأميركيون "كسب العقول والقلوب". وفي حرب الأفكار هذه، حققت القاعدة تقدماً واضحاً إلى الحد الذي قد يحجز القول إنها منتصرة فيها حتى الآن، إذ نجحت في توسيع نطاق الغضب تجاه السياسة الأميركية لدى قطاعات واسعة في البلاد العربية والإسلامية، وتحويل هذا الغضب إلى كراهية عميقة في غير قليل من الأحيان. وقد انتصرت "القاعدة" في هذا الجانب من جوانب الحرب العالمية الراهنة لغيب التكافؤ فيه بسبب الصورة السلبية المرسومة للولايات المتحدة لدى كثير من قطاعات الرأي العام العربي والإسلامي بسبب انحيازها لإسرائيل في المقام الأول. ورسخت الحرب على العراق خصوصاً، ومن قبلها الحرب على أفغانستان، هذه الصورة وسعت انتشارها، ووفرت لـ "القاعدة" فرصة سهلة للزعم بأن الحرب على الإرهاب ليست إلا حرباً على المسلمين.

وإذا كانت "القاعدة" تبدو منتصرة حتى الآن في حرب الأفكار هذه، فقد لا تكون أميركا هي المهزوم الوحيد فيها، فقد هزمت فيها أيضاً الثقافة العربية-الإسلامية التي ظلت تائهة على مدى قرنين بين ترانها والعدائنة الغربية وعاجزة عن خلق "مركب" جديد منهما عبر صيغة توفيقية خلافة، وليس مجرد تلعيق يتعايش جنباً إلى جنب الانقراض في التراث من ناحية أو الاستغراق في التغريب من ناحية أخرى. وإن يربط انتصار "القاعدة" في حرب الأفكار، في أحد أخطار أبعاده، بخلق مزيد من التناقض بين ترانها وحدائنة الغرب، وتسقط الثقافة العربية والإسلامية ضحية لحرب الإرهاب والحرب عليه، ويبدو المشهد اليوم كئيباً بأكثر من أي وقت مضى منذ أن حدث اللقاء - الصدام بين هذه المنطقة والغرب في نهاية القرن الثامن عشر.

■ عن "الحياة"

## آخر قصيدة

في الرابع من مارس  
يسفر الغروب عن وحى سدوله  
ليجمل الشاعر أحرف البهائم  
ويلقي بتعب العمر  
إلى هودج البحر  
موقناً أن شعب القصيدة  
أبقى من قطر الحياة  
وأخلد من تكهات الغيب...

## داية النهمبول

منشراً  
في رشح الجسد  
كنت تهيم في الأمكنة  
فراشة تحوم في مدار  
شمس  
أو هزيع الليل  
- ما المرقق ٩٩ - !!  
وبياض الفصول  
يشتهي فيك فين ما تبقي  
من أحلام الرماد  
ورعشة النصاصيل.

## منزويًا

في المكان كغندليب المساءات  
تشدو قصيدة الغياب  
بمفردك فاكهة الموت  
على مرأى من نوارس الضفاف  
وتضرب موعداً للرحيل المبكر

ا  
ل  
م  
ب  
ك  
ر

"يحتر الليل قبري وينام"  
كان البوح بهو كلمات  
تسع فوائيس الرذاذ  
ودالية الدهول  
ظلت معلقة في منار الميناء  
تفصح عن سر خبايا  
كتاب "السقوط"

## وبلاغة الصمت

حطت على الجدار  
تستسر روح القدس  
عن حثف مشتهى  
ساورا الشاعر للحظة  
ليستهم من فيض الوجود  
أيجدية النص الأخير

ا  
ل  
م  
ب  
ك  
ر



## شعر: إدريس علوش المغربي

● طبيعة الجزائري أن يلخص تجارب الأمم والشعوب في كلمة أو كلمتين، وإذا تكرم في جملة، فتونس سنخ وزلايية والمغرب سيجارة أفقون وملك، ليبيا لجان شعبية وكتاب أخضر، موريطانيا سمك، لبن وأولاد الطايح وأولاد السالك، مصر فول وطعمية ومولوخية، الإمارات العربية شنت ذهاب، فطر فتوات، الكويت آبار بترول، العراق سنة وشيعة وأكراد، عمان الملك عبد الله والملكة نور، عمان عاصمة الإيباضيين، السودان دار فور ويامبو السوداني، الصومال محاكم إسلامية وموز، اريتريا قهوة، جوع، وماراطون، كينيا اختطافات، سافاري وسباقات، نيجيريا كرة قدم، الأكوادور موز مشكل، إيران شيعة، ذرة، وكافيار، سوريا سوق النساء، إسبانيا

## سفنح وزلايية



سعيد بن زرقة

zerga\_alg@hotmail.com

## الفاثح